جامعة قطر
QATAR UNIVERSITY
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
Journal of College of Sharia & Islamic Studies
نصف سنوية - علمية محكمة
Academic Refereed - Semi - Annual
Issn 2305-5545
العدد (٣١) ربيع ٢٠١٣م : VOL . (31) 2013

المعرَّب في القرآن الكريم

تأليف

الدكتور / عبدالله عبدالرحمن السعدي
جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا
الإمارات العربية المتحدة

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الأمين، الناطق باللسان العربي المبين.

اللغة العربية أخذت سعة قل نظيرها في البحث والدراسة، فاهتم العلماء كثيرا بالموضوعات القرآنية، ومنها:(المعرَّب) إذ اشتد الجدل في بعض ألفاظ القرآن الكريم التي تنسب إلى العجمة؛ وهذا بحث (المعرَّب في القرآن الكريم) تركب من الآتي:

مقدمة في أهمية اللغة العربية وتنميتها. ومبحث في معنى المعرّب، وأقسامه وضوابطه ومعنى الأعجمي والدخيل، وأسباب وجودها في العربية. ومبحث في الألفاظ العربية عند غير العرب، والرؤية القرآنية في ذلك، والمثبتون للمعرَّب في القرآن الكريم والمنكرون له، ودواعي الإنكار، وخاتمة البحث لأهم النتائج، والمقترحات المناسبة.

"Almuarrab" in Quran

The Arabic language has taken a wide range in the terminology field especially in Quran studies such as ''Almuaarab''; meaning non-Arabic words. This research aims at offering different views of the matter of "Almuarrab" and select the most well-founded among them. To that end, the research first introduces the importance of Arabic language.

In general, the research comprises two main sections. The first topic describes the meaning of ''Almuaarab'' and its categories with different arguments of many scholars. Whilst the second topic discusses the using of Arabic words by non-Arabic speaking people, as well as, the Quranic vision for non-Arabic terms. In addition, the paper will present such different views between scholars who approve of such terms and those who reject them.

Finally, the research will pinpoint the proven views, highlight the results of the study, and present suitable recommendations.

المقدمة

خاطب الله العرب مبينا مجدهم بقوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠)، هذا الكتاب شرف العرب؛ لكونه نازلاً على لسان رسول منهم.([1])

واللغة التي نالت هذا التشريف العظيم تستحق أن تكون أصلا لكل اللغات، وغيرها فروع منها، والمعروف أن الفرع يأخذ من الأصل وليس العكس، ومن المستبعد أن الفرع يمد الأصل، ولا شك أن التداخل بين اللغات جار في كل زمان ومكان، وليس عندنا نص مقدس يحكم بسبق لغة على أخرى، ولكن عندنا النص القرآني المقدس يحدد لنا هوية الألفاظ العربية وكفى به دليلا.([2])

جاء القرآن مصدراً رافداً لتنمية اللسان البشري، ولهذا يقول المستشرق المسلم، د.عبدالكريم حرماتسو:(كان لأسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال الشعوب، فاقتبست آلافاً من الكلمات العربية، وازدانت بها لغاتها الأصلية فازدادت قوة ونماءً)[3] فالمطلوب من العرب أن يجددوا الثقة بلغتهم؛ لأنها تنبع من أقدس الكتب السماوية؛ ولهذا يجب النظر إلى موضوع (المعرَّب) في القرآن الكريم نظرة إيمانية عميقة، كما ينظر إلى النحو القرآني كذلك، لتؤخذ من نصوصه القواعد اللغوية، وما عداه محكوم به وليس

([1]) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد - محمد بن عمر الجاوي ت ١٣١٦هـ: ٤٦/٢- ، تحقيق: محمد الصناوي- دار الكتب- بيروت ط ١٤١٧ هـ

([2]) علم اللغة - د.علي وافي -ص ١٩٨ - ط ٩

([3]) اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة - د.كارم السيد غنيم — مجلة عالم الفكر عدد يناير مارس ١٩٨٩م ص ٩١٩.

العكس (فما جاء منها موافقاً للنصوص القرآنية في قراءاتها المتعددة المحكمة قبلناه وأثبتناه)[1] وتتضح أهمية معرفة اللفظ (الأعجمي أو المعرَّب) عند العلماء من خلال النشاط العلمي عند العرب في البيئة اللغوية في كل عصر.

وبعد ظهور الرسالة الإسلامية تبيّن مسار اللغة العربية، كما تبيّن مسار العقيدة السليمة، فكان الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المعلم الأول للعرب جميعاً والمرجع الأول والدائم لكل صحابي، ولكل سائل وباحث، ثم بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام بهذه المهمة صحابته الكرام، الذين وهبوا أنفسهم لتفسير كل ما هو غامض، فتتحدث الروايات أن ابن عباس "رضي الله عنه" أول من كتب في غريب القرآن، وله كتاب في غريب القرآن، ولعل ذلك كان في أقواله وتفسيراته لبعض ألفاظ القرآن الكريم.

ومن المناسب أن نعطي لمحة عن تاريخ علم (الغريب) لصلته بعلم (المعرَّب) إذ كل منهما يكشف عن شيء مبهم، سواء في لفظه أو معناه: فقد بدأت حركة التأليف المعجمي لغريب القرآن عفوية غير منظمة، ويلاحظ أنَّ ترتيب الموادِّ كان ترتيبا حسب السور، ولم ترتَّب أبجديا إلا في القرن الرابع الهجري؛ بعد أن انتشر المعجم الأول بالمعنى المعروف للمعاجم، وهو(معجم العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي الذي رتبه ترتيبًا صوتيًّا مخرجيًّا. ثم زخرت المكتبات بمؤلفات جمعت الألفاظ المعربة والمولدة والدخيلة، اهتم بتأليفها وجمع ألفاظها اللغويون القدامى، وكان الدافع لجهد هؤلاء هو الحرص البالغ على تنقية اللغة العربية من الدخيل الذي وفد إليها، وتسلل إلى بنائها من ناحية،

---

(1) نظرية النحو القرآني، د. أحمد مكي الأنصاري: ١٥٠ – ط١ ١١٤٠٥هـ – دار القبلة- القاهرة

وللبحث الجاد في التراث اللغوي للحصول على كلمات عربية الأصل؛ لتحل محل هذا الدخيل من ناحية أخرى.([1])

واستحدثت علوم مستمدة من التراث جاء ت في مؤلفات سطرها أهل العلوم الشرعية واللغوية، ومنها: الغريب، والمعرب، والمعجم العربي، وانبرى لها رجالها، فقد نسب إلى (أبي سعيد بن تغلب البكري ت١٤١هـ) أنه ألف كتابًا في غريب القرآن، ثم تتابع الكتّاب في هذا الميدان المهم، أمثال (يحيى بن المبارك اليزيدي ت٢٠٢هـ) و(النضر ابن شميل ت٣١٣هـ) و(أبي عبيدة اللغوي) و(مؤرج السدوسي) الذي أعد كتابه عن غريب القرآن قبل وفاته عام ١٩٥هـ و(الأصمعي ت٢١٣هـ) و(الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة ت٢١٥هـ) و(ابن اليزيدي) و(ابن قتيبة ت٢٧٦هـ) وغيرهم، ولكن فقد أكثر هذه الكتب، وليس بين أيدينا سوى (**غريب القرآن لابن قتيبة**) وكل هذه الكتب ما هي إلا تفسيرات وشروح للألفاظ الغريبة في القرآن الكريم، وأقوال أصحابها مستمدة من آراء بعض الصحابة الذين سبقوا مؤلفيها.

والمؤلفات في هذا النوع من فروع اللغة متنوعة قديما وحديثا، وكذلك الفصول الخاصة في بيان المعرّب ضمن كتب اللغة العامة: فمن الكتب التي اختصت في هذا الشأن (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم) (لأبي منصور الجواليقي ت٥٤٠) ورسالة في تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية (لابن كمال باشا، ت٩٤٠هـ) وكذلك رسالة في التعريب (لمحمد بن بدر الدين المنشي، ت١٠٠١هـ) و(شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) لشهاب الدين الخفاجي، ت١٠٦٩هـ .

([1]) فقه اللغة، د. حاتم الضامن:٩٤

أمّا عن كيفية ترتيب المادة اللغوية والمفردات داخل هذه الكتب، فقد كان ذلك على نسقين:

(الأول) : حسب السور في المصحف الشريف، وهذا كان موجوداً في المؤلفات الأولى.
و(الثاني) : الترتيب الألفبائي وهو أحدث من سابقه، وقال بعض الأفاضل من العلماء: إن هذه الكتب التي ألفت في غريب القرآن، وغريب الحديث قد تأثّرت بفكرة التأليف المعجمي المنظم عند الخليل.

وقد واصل العلماء المعاصرون أبحاثهم في هذا المجال من خلال المؤتمرات والندوات والمؤلفات، ومن أبرزها أعمال المجامع اللغوية في الدول العربية بدعوتهم المتكررة إلى التعريب في اللغة والفكر معا.([1])

وبعد هذه الإطلالة الخاطفة نأتي إلى جوهر الموضوع (المعرب في القرآن) والذي تنوعت فيه آراء العلماء، وذلك من هذه المقدمة ومباحث، كما يأتي:

(١) التعريب بين التفكير والتعبير- د.كمال بشر: ٦٤- بحث في مؤتمر الدورة الستين - مجلة مجمع اللغة العربية - الجزء ٧٨- ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

المبحث الأول

مصطلحات المعرب والأعجمي والدخيل

المعرب هو الذي استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها، وقد أورد العلماء تعريفات متنوعة: للمعرب، والأعجمي، والدخيل.

وسنقف أمام هذه الألفاظ لنستوضح معانيها وتقسيماتها في المطالب الآتية:

المطلب الأول

أقوال العلماء في تعريف الألفاظ والمصطلحات

١- لفظ (الأَعجمِي) عُرّف بأنه من لا يُفصح، سواء أَكان من العجمِ أَمْ من العرب. و(الأَعجم) هو من لا يفصح وإِن كان عربيًّا، فَيَاءُ النِّسبة في الأَعجَميِّ للتَّوْكيد، وغالِبًا ما يطْلَق على غير العربِيِّ ممَّن ينطق بلُغات أُخْرى من اللّغات.

أما اللفظ الأعجمي فهو ما استعمله العرب كما هو في لغته الأصلية، وأطلق عليه (الأعجمي الدخيل)[1]

٢- لفظ (العجمِي) يطلق على كل لفظ غير عربي، سواءٌ أَكَان فَصِيحا أَمْ غَيْر فَصِيح. قال أبو حيان الأندلسي:(العجمي عندنا هو كل ما نقل إلى اللسان العربي من لسان غيره)([2])

٣- لفظ (المعرَّب) ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها.(وهو الذي طوَّعته العرب بألسنتها، وغيرت فيه بالزيادة،أو النقصان والإبدال في

([1]) فصول في فقه اللغة – رمضان عبد التواب: ٣١٤- من أسرار اللغة – إبراهيم أنيس: ١٢٥

([2]) الاقتراح في أصول النحو – السيوطي- ص: ١٤٦

الأصوات، ليجري بحسب أبنيتها، ويوافق أصواتها، حتى يغدو على صورة شبيهة بصورة الألفاظ العربية)([1]) قال السيوطي: (المعرَّب هو ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها)([2]) وقال التهانوي:(المعرَّب عند أهل العربية: لفظ وضعه غير العرب لمعنى استعمله العرب بناء على ذلك الموضع)([3])

٤- لفظ (الدخيل) الذي دخل العربية من لغات أخرى وحافظ على شكلها ولم يخضع للميزان الصرفي العربي ولم يخضع للاشتقاق.([4])

٥- لفظ (التعريب) عملية نقل اللفظ الأعجمي إلى العربية([5]) قال الجوهري في الصحاح:(تعريبُ الاسم الأعجمي أن تتفوَّه به العرب على مِنْهاجها تقول: عرَّبته العرب وأَعرَبته أيضا)([6]) وقال الخفاجي:(التعريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب، وسماه سيبويه وغيره: إعرابا)([7]) وقال عبد القادر المغربي في تعريف المعرب:(جعل الكلمة الأعجمية عربية)([8]) وقال أيضا(المعرَّب ويسمى أيضا دخيلا، هو ما استعمله العرب في الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها)([9])

---

(١) علم اللغة – علي عبد الواحد وافي: ٢٢٩ .

(٢) المزهر– السيوطي – ١/ ٢٦٨ .

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم – محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي: ٩٤٤.

(٤) عوامل التطور اللغوي – أحمد عبدالرحمن حماد: ٨: ٥.

(٥) التعريب في القديم والحديث – محمد حسين عبدالعزيز: ٤٧ .

(٦) الصحاح – الجوهري (عرب).

(٧) شفاء الغليل – الخفاجي : ٢٣ .

(٨) الاشتقاق والتعريب – عبد القادر المغربي: ٢٦ .

(٩) المصدر نفسه :١٦.

ويفرق الدكتور رمضان عبد التواب بين لفظ الكلمة في كونها اسم مفعول، أو مصدر، فيطلق على الكلمات التي أخذتها العربية من اللغات المجاورة اسم: (الكلمات المعرَّبة) ويطلق على عملية الأخذ (التعريب)[1] .

ويؤكد الأستاذ محمد المبارك بأن المعرَّب هو«إدخال اللفظ الأعجمي في العربية، بعد تبديله وتهذيبه في لفظه ووزنه، بما يناسب العربية» [2] وكذلك يشير الأستاذ عباس حسن إلى أهمية الصقل والوزن للفظ الأعجمي الذي أدخلته العرب في لغتها، وصقلته على منهاجها وأوزانها، أو تركته بغير صقل، وربما تناولته بالاشتقاق.[3]

ويورد الأستاذ الدكتور كمال بشر للتعريب أربعة معان:

أولها : إخضاع الأعمال الأجنبية لشيء من التصرف في مبناها ومعناها.

وثانيها: الترجمة لأي لغة، وهذا يبتعد عن التعريب المحصور في النقل إلى العربية.

وثالثها: نقل اللفظة الأجنبية إلى العربية.

ورابعها: رأي (الدكتور عبدالكريم خليفة) اعتماد اللغة العربية للتدريس الجامعي والبحث العلمي والتقنيات الحديثة[4].

أما أستاذنا الدكتور حاتم الضامن فإنه يضع الضوابط اللازمة للمعرب، وهو: «اللفظ الأعجمي الذي يدخل اللغة العربية عن طريق الاحتكاك باللغات الأجنبية، وقد

---

(1) فصول في فقه العربية – رمضان عبد التواب –.ص ٣٥٩

(2) خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التحديد والتوليد – المبارك: ٤٢

(3) اللغة والنحو، عباس حسن: ص ٢٢

(4) التعريب بين التفكير والتعبير– د.كمال بشر: ٦٧ بحث في مؤتمر الدورة الستين – مجلة مجمع اللغة العربية – الجزء ٧٨– ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

تطرأ عليه تغييرات في الحذف أو الزيادة، وقد تبقى اللفظة الأجنبية على حالها من غير تغيير، وتعامل معاملة المفردة العربية في إجراء مقاييس العربية عليها»([1]) وقريب من ذلك تعريف الأستاذ إبراهيم أبو سكين، وهو:(اللفظ الأجنبي الذي استعملته العرب بعد تطويعه للغتهم سواء بالزيادة أو النقص أو القلب أو الإلحاق»([2])

ونجد أن مجمل هذه التعريفات تسمي هذه الألفاظ(المعرَّب) وتسمي نقل الألفاظ (التعريب) وتسمي اللفظ المنقول (العجمي) أو (الدخيل) ومعنى ذلك أن هذه الألفاظ جرى عليها اختبار وتمحيص، لتضبط على الشروط المطلوبة ثم استخدمتها العرب، أو جعلته عربيا على حسب مقاساتها ومعاييرها، لتلحقه بالعربية، لذلك نجد العلماء المحدثين يفصحون عن بيان كيفية جعل اللفظ عربيا بأقسام وضوابط، وشروط معتمدة، نبينها في المطلب الآتي:

المطلب الثاني

أقسام المعرب وضوابطه

أولاً : وضع العلماء أقساماً للمعرب على النحو الآتي:

١. منها قسم غيرته العرب على قانون الأصل والزيادة، والوزن، ومراعاة أبنية العربية وضعا، نحو: درهم، وبهرج. وبعد ذلك ألحقته بكلامها.

٢. ومنها قسم غيرته العرب، إلا أنها لم تلحقه بأبنيتها من كلامها، فلا يعتبر مشابها لما قبله، نحو: آجر.

([1]) فقه اللغة، د. حاتم صالح الضامن: ٩١ ، جامعة بغداد – دار الحكمة للطباعة والنشر – ط ١٤١١هـ ١٩٩٠م

([2]) فقه اللغة، إبراهيم أبو سكين: ٤٥

٣. ومنها قسم تركوه بدون تغيير.

فما لم يُلحِقوه بأبنية كلامهم لا يعد منها، نحو (خُرَاسان) لا يثبت به فُعالان، وما ألحقوه بها عُدّ منها بلغات العَجَم، نحو (خزم) ألحق بسُلّم، و(كُرْكُم) ألحق بقُمقُم.

ثانياً: وضع أئمة العربية ضوابط وصفات لمعرفة الاسم الأعجمي من غيره، وهي:

١. النقل عن أحد أئمة العربية، واعتبار كلمة معينة أعجمية.

٢. خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو:(إبْرَيْسَم) فإن مثل هذا الوزن مفقود في أبنية الأسماء في اللسان العربي.

٣. أن يكون أوله نونا ثم راءً نحو: (نرْجس) فإن ذلك لا يكون في كلمة عربية.

٤. أن يكونَ آخرُه زايا بعد دال نحو: (مهندز) فإن ذلك لا يكونُ في كلمة عربية.

٥. أن يجتمع فيها الصاد والجيم نحو: (الصَّوْلجان)

٦. أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو:(المنجنيق) والجيم والطاء،نحو: (الطاجن).

٧. الكلمة الرُباعيةً والخماسية الخالية من حروف الذلاقة التي هي (الباء والراء والفاء واللام والميم والنون) مثل: (جوسق) ومتى كان اللفظ عربيا فلا بدَّ أن يكونَ فيه شيء منها، نحو:(سَفَرْجَل) و(جَحْمَرش)([1]).

([1]) المعرَّب، الجواليقي - ٥٧- ٥٨ - المزهر: السيوطي، ١/ ٢٧٠

المطلب الثالث

أسباب وجود الأعجمي

بحث العلماء أسباب وجود الألفاظ الأعجمية في اللغة العربية، وكان من أهمها الاحتكاك المادي والثقافي والسياسي بالشعوب الأخرى؛ فكان من الضروري نتيجة لهذا الاحتكاك تبادل المصطلحات العلمية، واقتراض مسميات الأشياء التي توجد في أمة ولا توجد في أخرى منها، مما اضطر العربي - حتى يساير موكب الحضارة - أن يستخدم اللفظ الأجنبي بعد ما يطوعه للغته فيعربه، وبذلك يصير اللفظ عربيا.([1])

ومن العوامل التي أدت إلى انتقال الدخيل إلى العربية حاجة العرب للفظ المعبر عن معنى معين ليس في العربية ما يدل عليه.([2]) وقد طال الأمد على كثير من هذه الألفاظ في الجاهلية، وألف الناس استعمالها وصارت جزءا من لغتهم، وربما نسوا في كثير من الأحيان بعضها.([3])

إنّ عامل الهجر والنسيان في اللغة قد أثر في دراسة أصل اللغة، وهل النسيان وقع على لفظ أعجمي، ثم نسيت عجمته، أو وقع على لفظ عربي، ثم نسيت عربيته، فنسيان بعض العرب شيئا من اللغة هو مدخل إلى فتح باب الاحتمالات في اعتبار بعضها منسيا، أو مهجورا، أو مجهولا في عصر معين، ثم تذكره جيل آخر، ولعل ما في القرآن من الكلمات التي قيل عنها: إنها (أعجمية) من تلك الألفاظ التي جهلتها العرب

([1]) فقه اللغة: د،علي عبد الواحد وافي - ١١٩- ٢٠٠ - فقه اللغة، إبراهيم محمد أبو سكين:٤٣

([2]) التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر:٤٥- دار جامعة الخرطوم ط١- ١٩٨٦

([3]) فصول في فقه العربية ، ص: ٣٥٩

أو نسيتها، أومن ذلك المهجور والمجهول، ولاسيما أن العرب قد أطلق عليهم قبل الإسلام (عصر الجاهلية) فإذا نسي العرب عقيدتهم، وجهلوا التوحيد ملة أبيهم إبراهيم، فمن المتوقع أنهم نسوا بعض ألفاظ ألسنتهم، ولما نزل عليهم القرآن الكريم ذكرهم بلغتهم التي هجروها، وهذا قريب من معنى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (الأنبياء:١٠) أي: أنزلنا إليكم كتابا فيه حديثكم.([1]) فالله يخاطب قريشاً بأن هذا القرآن فيه شرفكم بلغتكم، ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ (الزخرف:٤٤) فهو كتاب عربي بلغة قريش.([2]) وكذلك قوله تعالى﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون:٧١) أي: لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم. قال الطبري:(ذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه)([3]) والعرب أهم شرف تعتز به هو لسانهم الذي تباروا بسحر بيانه، ورونق جماله، روى سعيد بن جُبَير عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (**سورة** ص:١) أي: ذي الشرف. وقال بعضهم: بل معناه: ذي التذكير، ذكَّركمُ الله به.([4])

والقرآن قد أنزله الله ليذكر العرب بأهم أمر في حياتهم، وهو العقيدة الصحيحة، وكذلك ذكرهم بالألفاظ التي أصلها عربية، بعد أن توهموا أنها أعجمية، أو كان أصلها في لسان آدم – عليه السلام.

([1]) القرطبي، الأندلسي – ط١- ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

([2]) الوسيط في تفسير القرآن ، النيسابوري:٣/٢٣١

([3]) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٨/٤١٥ – تحقيق: أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة – ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

([4]) تفسير الطبري: ٢١/١٤٠

واللغة العربية جديرة بأن تذكر الإنسانية بأصالتها، لما تحمله من التميز على كل اللغات، فالعربية مهما أهملت أو نسيت فهي لغة قد كتب الله لها البقاء والخلود،(فإلى جانب الكلمات المستعملة كان مدونو المعجمات يسجلون الكلمات المهجورة، وما هجر في زمان معين كان مستعملا في عصر من العصور، أو كان لهجة لقبيلة خاصة انقرضت، أو غلبتها لهجة أقوى منها، وهجران اللفظ ليس كافياً لإماتته، لأن من الممكن إحياءه بتجديد استعماله.)([1]) وآراء المفسرين تصب في هذا المعنى، ولهذا الاتجاه، (فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات، ولذلك سمي عربياً)([2])

ولابد من أن نفرق بين لفظ (المعرَّب) ولفظ (التعريب) مما يدور على ألسنة البشر فإن ما يدور على ألسنة البشر يعد ضروريا للحفاظ على اللغة؛ لأن التعريب يكفل الحفاظ على الحضارة الإسلامية التي كتبت باللغة العربية.([3])

وعملية التعريب مرت بالعصور الإسلامية المزدهرة، وهي متنامية تكفلت المصادر ببيانها، ويكفينا أن نلحظ اتساع حركة الترجمة ببداية اليقظة العلمية، بعد تأسيس بيت الحكمة الذي أعلا صرحه الخليفة العباسي الرشيد، ثم المأمون.([4])

([1]) دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح ص ٢٩٣

([2]) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩٣/١٦ - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية – القاهرة- ط٢- ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م تفسير الجلالين:٤٢١/١ دار الحديث – القاهرة- ط١.

([3]) التعريب ونظرية التخطيط اللغوي، سعد بن هادي القحطاني: ٦٤ – دراسات الوحدة العربية – ط١- بيروت- ٢٠٠٢م.

([4]) الترجمة بين الماضي والحاضر، د.محمود حافظ:٨٦- مجلة مجمع اللغة العربية – المؤتمر الستون- ١٤١٤هـ الجزء: ٧٨ - ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م.

أما اللفظ الوارد في القرآن فهو عربي، لوجوده في أقدس الكتب السماوية، فلا بد من التفريق بين كلام الخالق وكلام المخلوقين؛ ذلك أن هذا التفريق يحل إشكالية في تحديد معنى مفردة (المعرَّب) إذ المعنى ـ وهو اسم مفعول ـ وقع عليه التعريب، وهنا نتساءل: من الذي امتلك هذا الحق، فيأتي على كتاب الله، فيوقع عليه التعريب؟

المبحث الثاني

وجود ألفاظ عربية عند غير العرب

إن وجود ألفاظ عربية في القرآن الكريم، ومنطوق بها عند غير العرب لهو أمر يدعو إلى الاهتمام البالغ؛ إذ القرآن لا يشك أحد في كونه نزل باللسان العربي، ووضع علماء العربية قواعد لغوية استنتجت منه، ومن الكلام العربي شعرا ونثرا، وهذه القواعد وضعت ليخضع لها كل كلام عربي بشري على قوانينها، فإذا أخضعنا الكلام البشري لها فإنه أمر ممكن، ولكن نقول هنا: كيف يكون ذلك مع كلام الله الذي يجب أن لا يوضع تحت طائلة المقاسات البشرية؟ وذلك نظرا لعلو منزلته وقدسيته، وهو أعلى نموذج للعربية الأصيلة، وهنا حصل إشكال كبير عند العلماء، ولا بد من إيجاد حل للخروج منه بما يحفظ قدسية القرآن ويحفظ كيان اللغة العربية.

لذلك أردت أن أحدد الموضوع في هذه المشكلة لإيجاد الحلول التي تزيل الشبهات عن كتاب الله تعالى، وتحافظ على احترام العربية، وقد جاء ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول

الرؤية القرآنية في ألفاظ غير العرب

المشكلة هنا أن القرون تتابعت والعلماء تباينت آراؤهم، فكل واحد يريد أن ينتصر لرأيه بسيل من الأدلة الرصينة الوافية، ولعل في ذلك حكمة بالغة في إبقاء الدرس القرآني أمام الأجيال بما فيه من عمق يغذي العقول النيرة، ويدفعهم الحرص على صيانة لسان العرب من الضياع.

والألفاظ المختلف في عربيتها انقسم العلماء فيها: فمنهم المثبت لوجودها، ومنهم المنكر لوجودها، حتى ساق كل فريق حجته، وفي الوقت ذاته نجد المتربصين من أهل الشك والتشويه يقصدون تعكير صفو الإيمان في عربية القرآن، ويسوقون الحجج الواهية التي يمكن دحضها وتفنيدها بأقرب الوسائل.

ولابد من الوقوف والتأمل عند الحقيقة التي لا يمكن إغفالها، وهي كون القرآن كلام الله، والمتكلم هو . سبحانه وتعالى . الذي بين لنا نوع اللسان الذي أنزل كلامه به، وليس من حق أحد أن يدعي لسانا خلاف ما أراده المتكلم، وكلام الله أولى من كلام البشر في تحديد انتسابه إلى العربية التي نص عليها وأرادها، ونصوص القرآن تعمق هذا المعنى، قال الله تعالى: (حم "١" وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ "٢" إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ "٣") الزخرف.

وكون القرآن عربيا وصف ملازم لجميع ألفاظه، فمن أين لنا الحق في فرز ألفاظه إلى عربي وغير عربي؟ وقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بصفة (العربي) في عشرة مواضع، وورد قوله تعالى: (قرآنا عربيا) يوسف:١٢ في ستة مواضع.

المطلب الثاني

المثبتون للمعرَّب في القرآن الكريم

جاءت النصوص النبوية مشيرة إلى فضل القرآن مفصحة عن قدسيته، فعن أبي سعيد الخدري قال:قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" (فضل كلام الله على سائر

الكلام كفضل الله على خلقه)([1]) ولولا هذا الكتاب العظيم لما كان للعرب اليوم لغة عربية واحدة، لأن لغات القبائل العربية كانت مرشحة لأن تصبح ألسنة منفصلة عن اللسان العربي.([2]) ولكن القرآن احتوى على ألفاظ كثيرة، قيل عنها: إنها غير عربية، كما صنف العلماء في ذلك كتبا خاصة، فوجود المعرب في القرآن قضية علمية اختلف العلماء فيها اختلافاً كبيراً، فمنهم المثبت ومنهم المنكر.

أما أصحاب الرأي الأول فهم المثبتون للمعرَّب في القرآن، وإلى ذلك ذهب بعض الصحابة والتابعين والعلماء، منهم: ابن عباس، ووهب بن منبّه، وابن مسعود، وسعيد بن جبير، وعكرمة ومجاهد، وعطاء، والضحاك، والسدي، وأبو عمران الجويني، وعمرو بن شرحبيل، وأبو موسى الأشعري، والزمخشري، وابن الحاجب، والسيوطي، وغيرهم.

قال أبو عبيد: روي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم في أحرف كثيرة أنه من غير لسان العرب، ومثالها: سجيل، والمشكاة، واليم، والطور، وأباريق، وإستبرق، وغير ذلك.

وهنا نجد أبو عبيد يقوي رأيه بهذه الرواية، موضحاً أن هؤلاء الصحابة والتابعين أعلم بالتأويل من أبي عبيدة الذي أنكر وجود المعرب في القرآن، إذ قال: «من زعم أن في القرآن لساناً سوى العربية فقد أعظم على الله القول» واحتجّ بقوله تعالى:﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف:٣)، ومع أن أبا عبيد يميل إلى جانب

([1]) سنن الدارمي: ١/ ٢١١٤ تحقيق: حسين سليم أسد الداراني – دار المغني للنشر،السعودية – ط١- ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م

([2]) التعريب والتنمية اللغوية، ممدوح خسارة: ٢٢- ط١- ١٩٩٤- دمشق

المثبتين لكنه لا يخطّأ رأي غيره، وذلك أن هذه الألفاظ بغير لسان العرب في الأصل، ثم لفظت العرب بها بألسنتها، فعربتها فصارت عربية، فهي عربية في هذه الحال، ولو أنها أعجمية الأصل.

ثم نقل هذه الرواية من جاء بعد الجواليقي ودرس موضوع التعريب في القرآن كالسيوطي، وغيره، لبيان الآراء المختلفة، ليجمع بين آراء المختلفين، وسواء أكانت الألفاظ الواردة في القرآن، من لغات أخرى: أعجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال، أو أعجمية باعتبار الأصل والحال، فإن ورودها في القرآن يدل على أن العرب قد فهموها وتقبلوها، وفهمهم لها يدل على شيوعها بينهم من قبل أن يأتيهم بها، وهذا يثبت وجود الألفاظ المنقولة من لغات أخرى في الجاهلية، ومن استمرار ذلك بعد الإسلام.

ومن الأدلة على وجود ألفاظ غير العرب اعتبار العجمة مانعة لصرف الكلمة، وإن إجماع أهل العربية على منع الصّرْف فِي (إِبْرَاهِيم) ونحوه هو بسبب العجمة والعلمية، فَتبين مِنه وقوع المعرب فِي القرآن،([1]) وعد السيوطي هذا من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة التي كانت تنزل حصرا بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، ولم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن الكريم قد احتوى على جميع لغات العرب، وأنزلت فيه كلمات بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة، وهذا برهان على وحدة الأصل البشري.

([1]) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الحنفي الحسيني:١/٣٤ - عدنان درويش - محمد المصري- مؤسسة الرسالة – بيروت

وعلماء هذا الرأي عللوا وقوع المعرب في القرآن الكريم، بأنه لايغض من شأنه ولامن اللغة العربية، بل يبين قدرة العرب ومرونة عقليتهم على تمثل الألفاظ الأجنبية، وطواعية لغتهم لهم في ذلك، حتى ليصبح اللفظ الأجنبي في موقعه أفصح من نظيره العربي.

وكان يمكننا أن نستغني عن هذا التبرير، لو اعتبرنا كل لفظ قرآني عربي الأصل بتوثيق القرآن، وهو الأصل الأول للاحتجاج بفصاحة اللغة العربية، ولايحق لنا أن نعارض هذا التوثيق برأي بشري يوثق العربية من مصادر أخرى، والعلماء اشتد بينهم الخلاف على نسبة الكلمات إلى اللغات، ثم اختلفوا في تحديد زمان ومكان انتقال الكلمة من لغة إلى أخرى، وهذا الاختلاف يمكن أن نسمح به في غير القرآن، أما القرآن فهو كلام الله، ولايليق أن يخضع لهذه الاعتبارات البشرية، وهل يكون من المبررأن يقال لكل لفظ خفي أصله: إنه أعجمي؟([1])

المطلب الثالث

المنكرون للمعرب في القرآن الكريم

أصحاب الرأي الثاني هم المنكرون، ويرى أصحاب هذا الرأي عدم وجود المعرب في القرآن، ولا يوجد غير اللفظ العربي في ألفاظ القرآن الكريم، وهو مذهب كثير من العلماء الذين يرون أن المعرب لايقع في القرآن الكريم وهذا الرأي ورد عن الصحابة الكرام وعن العلماء منهم الإمام الشافعي، وابن جرير الطبري، وأبوعبيدة معمر بن مثنى، ومجاهد، وابن فارس، وعكرمة، والباقلاني والرازي وغيرهم.

([1]) المعرب في القرآن الكريم، محمد السيد علي بلاسي-ص: ١١٦-١١٧- ط١- ليبيا- ٢٠٠١

ومن المحدثين أحمد محمد شاكر، والدكتور عبد العال سالم مكرم.

ويستند هذا الرأي إلى المنطوق الواضح من نصوص القرآن الكريم التي أكدت أن كل ما فيه نزل بلسان عربي مبين في جميع الآيات، كما في سورة يوسف:٢ وسورة فصلت:٣ .

وقد تناول هذا الموضوع قادة الفكر والاجتهاد، بل أنبوا الذين تجرؤا على الخوض في نسبة بعض القرآن لغير العربية، قال الإمام الشافعي:(وقد تكلم في العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به وأقرب من السلامة له . إن شاء الله . فقال منهم قائل: إن في القرآن عربياً أو أعجمياً. والقرآن دل على أنه ليس من كلام الله شيء إلا بلسان العرب)([1]) وقال أيضا:(لعل من قال: إن في القرآن غير لسان العرب، ذهب إلى أن من القرآن خاصا يجهل بعضه بعض العرب، ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لايكون موجودا فيها من يعرفه)([2]) فما قيل من ألفاظ أعجمية في القرآن ليس إلا عربياً وافق بعض حروفهم في اللفظ والمعنى، والتوافق بين اللغات ملحوظ مدرك.([3])

ويقول أبوعبيدة معمر بن المثنى:(إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول)([4]) وعللوا ذلك بأنه: لو كان في القرآن الكريم من غير

([1]) الرسالة، الشافعي تحقيق أحمد شاكر: ص ٤١ – ٤٢ – ٤٧- ط ١٠

([2]) الرسالة، الشافعي: ٤٥ .

([3]) التعريب في القديم والحديث – محمد حسين: ٤١.

([4]) الإتقان، السيوطي: ١٧٨/١ – الصاحبي، ابن فارس: ص٤٦ .

لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله؛ لأنه أتى بلغات لا يعرفونها.([1]) (وقد يوافق اللفظ اللفظ ويفارقه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أوغيرها، فمن ذلك الإستبرق بالعربية، وهو الغليظ من الديباج، وهو استبره بالفارسية)([2]) ، وهذا تؤكده رواية عن ابن عباس— رضي الله عنهما— وغيره من تفسير ألفاظ القرآن أنها بالفارسية، أوالحبشية، أوالنبطية، أونحو ذلك، إنما اتفق فيها توارد اللغات، فتكلمت بها العرب والفرس والحبش بلفظ واحد.

وقال الشيخ أحمد شاكر: «لا يعقل أن تكون كلمة من كلمات القرآن— حاشاالأعلام— دخيلة على لغة العرب» ([3]).

إن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم إنما وجدت في لغة العرب؛ لأنها أوسع اللغات وأكثرها ألفاظاً، ويجوز أن يكونوا سبقوا إلى هذه الألفاظ، فكل لفظ ورد في القرآن الكريم عربي، أماالألفاظ الموجودة في أكثر من لغة فهي من توافق اللغات، ويحتمل أن تكون تلك الألفاظ عربية الأصل ونقلت إلى غير العرب. ([4])

والعرب أمة من أقدم الأمم، ولغتها من أقدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسماعيل، وقبل الكلدانية، والعبرية، والسريانية، والفارسية، وغيرها، وقد ذهب منها الشيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ؛ فلعل الألفاظ القرآنية، التي يظن أن

([1]) الصاحبي: ص٤٦. الرسالة، الشافعي: ص٤٤، ٤٥.

([2]) الصاحبي: ٤٣- ٤٤.

([3]) المعرب، الجواليقي- مقدمة المحقق: أحمد شاكر:١١، ١٢

([4]) قضية التعريب في القرآن الكريم، عبد الغفار هلال: ص٢٧.- المعرب، مقدمة المحقق، ص١٣

أصلها ليس من لسان العرب، ولا يعرف مصدر اشتقاقها، لعلها من بعض ما فقد أصله وبقي الحرف وحده.([1])

وينفي الدكتور عبدالعال سالم مكرم أن يكون في القرآن كلمات من أصل أجنبي، قائلا:«فإني لا أستطيع أن أقبل ما يدعيه بعض العلماء والرواة من أن القرآن الكريم اشتمل على كلمات أعجمية»([2]) ويذهب في بيان عربية هذه الكلمات، ويوضح وجهة نظره تجاه هذا الموضوع بأن لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى فأثرت فيها، ووصلت إلى هذه الدرجة من التطور، لابد أن تكون مورداً للغات الأخرى.

المطلب الرابع

دواعي نفي المعرب

أهم شيء في حياة المسلم أن يحافظ على سلامة عقيدة التوحيد في كل مجالات الحياة، فإذا كان عامل العقيدة دعا المنكرين إلى إنكار المعرَّب، فذلك مبرر كاف للحفاظ على قدسية كلام الله تعالى، والمنكرون لوجود المعرب في القرآن الكريم اتهموا بسيطرة الوازع الديني عليهم أكثر من تقرير الواقع اللغوي، لكننا نقول أيضا: أين الواقع اللغوي المتفق عليه؟ فالواقع اللغوي يمثل النطق البشري قبل نزول القرآن وبعد نزوله، وقد اختلف فيه اختلافا كبيرا واسعا، وفي خضم هذا الاختلاف والصراع قديما وحديثا يأتي القرآن باللفظ العربي ليمثل شهادة القول الفصل في عربية هذه الألفاظ، ولا مجال للشك بعد ذلك في عربيتها تحت أي مبرر.

---

(١) قضية الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم – عبد العال سالم مكرم – مجلة الوعي الإسلامي: العدد ٨٢ – شوال سنة ١٣٩١هـ، ص١٣.

(٢) المعرب، للجواليقي، مقدمة المحقق، ص١٣. – دفاع عن كتاب الله تعالى – ص١٣.

ورأينا العلماء لا يطلقون كلمة(المعرَّب)على ألفاظ القرآن إلا بمزيد من الحيطة والحذر، فقد أورد السيوطي بعض ما في القرآن من المعرب، وساق أسانيد إلى الصحابة والتابعين، وكأنما يتحرز هو أيضا من القول بذلك بنفسه، وقد عدّد اللغات المنقول عنها، فأوصلها إلى عشر وهي: الحبشية والفارسية والرومية والهندية والسريانية والعبرانية والنبطية والقبطية والتركية والزنجية والبربرية.([1]) قال السيوطي:(وادَّعى ناسٌ أن في القرآن ما ليس بلغة العرب حتى ذكروا لغةَ الروم والقِبط والنَّبط)([2]) واستشهد بقول أبي عبيدة: (ومَن زعم ذلك فقد أكبر القول، وقد يُوافق اللفظُ اللفظَ ويقاربه ومعناهما واحد، وأحدهما بالعربية والآخر بالفارسية أو غيرها)([3]) والإمام فخر الدين الرازي يرى أن ما وقع في القرآن من نحو المشكاة والقسطاس والإستبرق والسجيل ألفاظ موافقة للغات أخرى، ولا يعدها غير عربية بل غايته أن وَضع العرب فيها وافق لغة أخرى، كالصابون والتنور فإن اللغات فيها متفقة. وعامل الزمن الذي نزل فيه القرآن كفيل بأن يمنح اللغة قوة الحجة والبيان، وهذه الألفاظ التي تنسب إلى اللسان الأعجمي عرفتها وألفتها العرب، فعرّبتها بألسنتها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال: عجمية، فصادق.([4])

([1]) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ٩/٦٤ -٦٥ - دار الإرشاد - حمص- سورية، دار اليمامة- دمشق- بيروت، ١٤١٥ هـ

([2]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها - السيوطي: ١/ ٢٠٩ تحقيق: فؤاد علي منصور - دار الكتب العلمية – بيروت – ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

([3]) المزهر، السيوطي: ١/ ٢٠٩ .

([4]) الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الأنباري:٢/١٣٠ - مؤسسة سجل العرب- ط١٤٠٥ هـ

إن العرب كانوا يهتمون باللسان الشفوي شعرا ونثرا، ومعنى ذلك أن التدوين لم يأخذ طريقه إلا بعد نزول القرآن وانبثاق نور الرسالة الإسلامية، وبعد ذلك أمكن للعرب أن يثبتوا ما هو عربي وما هو غير عربي، كما هو الحال عند نزول القرآن فعرفهم بألفاظ وأساليب لم يعرفوها. والعرب كانوا ينشد بعضهم شعر بعض، وكل يتكلم على مقتضى سجيته التي فطر عليها. ومن هنا كثرت الروايات في بعض الأبيات.([1])

وعدم تدوين اللغة العربية كان من أهم الأسباب لنسيانها واندثار بعض ألفاظها، ولكن بعد نزول القرآن استطاعت أن تستعيد وجودها من أهم منابعها ومصادرها، فالقرآن هو أفضل مصدر للتذكير باللسان العربي المبين، وليس البشر الذي كثيرا ما ينسى ويهمل، فإذا كان العرب قد نسوا أوتناسوا لغتهم الأصيلة، كما أغفلوا عقيدة التوحيد لأبيهم إبراهيم فالقرآن ذكرهم بعربيتهم، قال تعالى:﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج:٧٨)

كرر القرآن في عدد من السور والآيات كلمة(حنيف)عشر مرات، وعبارة (ملة إبراهيم) ثماني مرات، للإشارة إلى أن الإسلام في أصله يعود إلى سيدنا إبراهيم الخليل، وتشير أيضا: إلى أن الإسلام يمثل الرسالة الخاتمة لتلك الملة الحنيفية ملة إبراهيم،([2]) وبناء على ما تقدم فإن (السامية) هي خدعة علمية وتزييف تاريخي وأسطورة توراتية، والهدف الأول منها رفع منزلة اليهود فوق مستوى البشر.([3])

([1]) المزهر، السيوطي:١/٢٦١ – ط ٣

([2]) عولمة اللغة والتاريخ، علاء الدين المدرس: ١٨٢

([3]) المصدر نفسه: ١٨٤

وجاء في الإتقان أن كل هذه الألفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جدا، ولا يبعد أن تخفى على بعض العرب، وقد خفي على ابن عباس معنى (فاطر) و(فاتح)[١]

ولا يمكن أن نعتمد كلام المخلوق ونعتبره متقدما على كلام الخالق جل وعلا؛ لأن القرآن قد أعان العرب على تذكر ما نسوه وأغفلوه بمرور الزمن والأجيال، وكذلك أعانهم على التطور في التراكيب والأساليب؛ فبلغت العربية درجة الرقي متفوقة على كل اللغات. إن كثيرا من الألفاظ العربية قد تختفى على جيل معين، ثم يأتي جيل آخر يبعثها بلفظها ومعناها، أو بإلباسها معنى جديدا، فإذا اعتمدنا هذا التذكير وهذا التطوير من البشر، فكيف نغفل هذا التذكير بعد نزول القرآن؟ ثم نلتمس التأويلات لننسب اللفظ الغريب في القرآن إلى اللغات الأخرى بحجة وجوده في هذه اللغة أو تلك، أليس الأولى من إحالة اللفظ الغريب إلى لغات أخرى أن نقول: هذا اللفظ لم نعهده في العربية، وقد استخدم في لغات أخرى، فحين نجده في القرآن فهو عربي بنص القرآن وهو مقدم على ادعاء أصحاب اللغات.

ولاشك في أن من خصائص اللغة العربية الاتساع في وفرة الألفاظ، ولا يبعد أن تكون مثل تلك الكلمات التي وردت في القرآن الكريم والتي يظن أنها أعجمية أن تكون عربية، ولكن نظراً لاتساع اللغة خفيت على العلماء، ولا أدل على هذا من قول ابن عباس:(كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها أي بدأتها) [٢]

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/ ١٢٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣/٥٤٦، ط. مكتبة التراث الإسلامي بحلب سنة ١٤٠٠هـ..

والصلة بين العقيدة واللغة واضحة من خلال تأويل بعض النصوص القرآنية والنبوية، إضافة إلى الأحداث التاريخية المرتبطة بجغرافية اللغة، ولو حصلت القناعة بتلك الصلة لأصبح أمر المعرب واضحا، ولأمكن إعادة كل الألفاظ القرآنية إلى اللسان العربي لا غيره. والاحتمال الأقوى هو اعتبار كل اللغات متفرعة عن أصل واحد، وحظ العربية من ذلك الأصل هو الأقرب من بين اللغات، وهذا يقتضي- لإثبات ذلك- تحديد لغة أبي البشر آدم عليه السلام، وتعليم الله له الأسماء، ثم الحوار معه في الجنة. والحقيقة العلمية التي اكتشفها علماء اللغة والإنسان، هي أن أرض مكة والجزيرة العربية تتميز بقدرة الإنسان على النطق بجميع الحروف الحلقية التي وهبت إلى آدم عند خلقه، وكلما ابتعد الإنسان عن مركز مكة بالاتجاهات الأربعة قل عدد الحروف التي يستطيع أن ينطق بها، مما ينعكس على شكل اللغة وملامحها وتطورها، وهذا العامل هو أحد أسباب ظهور اللهجات العربية في الجزيرة العربية ، وهكذا في كل اللغات[1] .

ونجد بعض الباحثين يوثق الصلة بين العربية والكلمات التي تعلمها آدم أبو البشر من ربه، مقرونة بالرسالة الإلهية والدين الذي أنزل على آدم، مع العلم أن لغة أهل الجنة هي اللغة العربية واللسان العربي المبين؛ ليكون مبدأ الإنسان ومنتهاه مرتبطاً تاريخاً وحضارة وديناً باللغة الفطرية والتوفيقية التي علمها الله سبحانه للإنسان حين خلقه ووضعه في أشرف وأكمل مكان، تلك هي اللغة التي اصطلحنا على تسميتها بلغة آدم[2].

---

(1) عولمة اللغة والتاريخ، علاء الدين المدرس: ٧٨، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

(2) المصدر السابق ، ص ٨٠.

ويذهب نحو هذا الرأي الدكتور صبحي الصالح أستاذ فقه اللغة، فيرى:أن اللغات السامية قبل تفرقها كانت ترجع إلى أصل واحد، وتشكل شبه وحدة شعبية، إلا أن من العسير جداً تعيين ذلك الأصل وتحديد هذه الوحدة، لأن المهد الأول للساميين لا يزال غامضاً مجهولاً، رغم أبحاث العلماء الكثيرة الواسعة الآفاق[١].

وأهل التفسير قد أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع، ليأتي شهاب الدين الآلوسي ليؤكد أن اللسان الذي نزل به آدم من الجنة كان عربياً، ثم حرّف وصار سريانياً، وهو منسوب إلى أرض سريانة وهي جزيرة كان بها نوح عليه السلام وقومه قبل الغرق، والحرف السرياني كاللسان العربي إلا أنه محرّف، هو لسان جميع من في الأرض إلا رجلاً واحداً فلسانه عربي[٢]. ومعنى ذلك أن اللسان العربي هو أقدم اللغات قاطبة، لأن به نزل آدم من الجنة فلما تقادم به العهد حرّف فصار سريانياً[٣].

وأصل اللغة من آدم ونسله لسان واحد إلى أن تجمع نسل نوح لبناء صرح يمتنعون به من الطوفان:(فَنَسِيَ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ اللِّسَانَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانِ وَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ)[٤]

والعرب قد ألفوا تغير المعاني على اللفظ الواحد، فكلمة (منيحة) كان معناها: إعارة إنسان ناقة أو شاة ليشرب لبنها، فتطور بمرور الأجيال إلى معنى شراء ناقة لهذا الغرض. ومن هذا القبيل نجد الكثير في تطور اللغة، وهذا كله يدل على أن اللغة تحتمل

---

(١) دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح: ٤٨.

(٢) روح المعاني الآلوسي: (٥٩/١).

(٣) مجلة المشرق لليسوعيين/ مجلد ٨ – ٥ – ١٩٠٥م ، ص ٢٩١، بيروت.

(٤) أحكام القران، الجصاص: (٣٦/١).

الزيادة والنقصان عند البشر، وحين ترتكز على ثوابت من النصوص المقدسة فإنها بعيدة عن التشكيك في عربيتها، ولا نجد أي مجال لغير ذلك في نص يلغي عربيتها، والنص لا ينسخه إلا نص بقوته، أما الاعتبارات التاريخية فهي لا تقوى على مجابهة النص القرآني.

إن الله قادر على تبيين نسبة كلامه لغير العربية لو شاء ذلك سواء في كلامه أو كلام رسوله، وفي بيان سعة كلماته قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(الكهف:١٠٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (لقمان: ٢٧).

وهنا نرجح الرأي التاريخي بأن العربية هي أقدم اللغات، ولعلها اللسان الذي علم الله بها آدم الأسماء كلها وهي لسان أهل الجنة، وشدد علماء اللغة في ضوابط أخذها سواء من العرب أم من غيرهم، وكثيراً مان سيبويه يشير إلى تشدده في تصويب الاستعمال اللغوي برده إلى العرب الذين ترضى عربيتهم ، أو العرب الموثوق بهم[1].

وحذر بعض اللغويين من تقريب الألفاظ الأجنبية من اللغة العربية بحجة توافقها بطريق الاشتقاق، قال أبوبكر بن السراج: «مما ينبغي أن يحذر كل الحذر أن يشتق من لغة العرب لشيء من لغة العجم، فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت»[2].

---

(1) الكتاب، سيبويه: ١/١٩٨/٤٧٧- ٢/٤٢٣- ٢/ ٢٩٠ ط ١٣١٦هـ.

(2) المعرّب ، الجواليقي: ٥٢.

ويجب أن يعتبر المؤمن أن الوحي على رسل الله لابد أن يبلغه الرسول بلغة مفهومة عند كل أمة أنزل عليها، فما بالك حين يأتي بلغة آخر تشريع، وهو شامل لكل الخلق، فهو يحتم التلازم الوثيق بين العقيدة واللغة، لذلك أصبح من الحق المبين أن يكون القرآن هو النموذج الأعلى للغة العربية،فلا يليق إنزاله إلى النموذج البشري الأدنى.

أضف إلى ذلك كثرة الاجتهادات والروايات المتعددة مع التباين في الميزان الصرفي والقواعد النحوية، فلا يعقل أن نتغافل عن النص القرآني، ونبقى في فلك الآراء المضطربة لتحديد هوية الكلمة القرآنية، مع إمكانية الاستغناء عن هذا العناء بالرجوع إلى أوثق المصادر التي بين أيدينا وأصل المصادر العربية وهو كتاب الله.

وجاء أحد الباحثين ووصل إلى نتيجة تصورها هي الفيصل في الموضوع، وقال: «وبعد خلاف بين العلماء طال أمده لمدة تزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، فإنني اليوم أجيء لأحسم هذا الخلاف، مؤكداً وقبل كل شيء: أن علماءنا الفضلاء لاشك أن عذرهم كان معهم طوال هذه الفترة؛ حيث إن علم اللغة المقارن لم يظهر إلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[1].ولو أن عالماً مفضالاً كالإمام الشافعي: عايشوا هذا الوقت لقالوا بوقوع المعرب في القرآن الكريم بل ونادوا بذلك»[2].

ونقول:إن الأفاضل الذين رأوا عدم وقوع المعرّب لم يقولوا ذلك لنقص في مداركهم بل جاء ذلك من منطلق العقيدة التي تؤكد أن كل ما في القرآن عربي، ولم يثبت أن بعض ألفاظه غير عربي بنص معتمد.

---

(١) علم اللغة، د. علي عبدالواحد وافي: ٥٣.

(٢) المعرّب في القرآن الكريم – بلاسي: ١٢١.

الخاتمة

وفي انتهاء هذا البحث ألخص المضامين التي احتواها، مع أهم النتائج التي توصل إليها، والمقترحات المناسبة. والله الموفق والمعين.

١- بينت في هذا البحث تأصيل الموضوع بإطلالة خاطفة على تاريخ التأليف والبحث في الغريب والمعرب.

٢- أوردت بيان معاني المصطلحات التي أطلقت على ما يحيط بشأن هذا الموضوع من الدخيل أو المعرب أو الأعجمي، وذكرت أقوال العلماء فيها قديما وحديثا ومناقشتها.

٣- أوضحت آراء العلماء في وقوع المعرب في القرآن الكريم، من المثبتين والمنكرين.

٤- رجحت رأي القائلين بعدم وجود لفظ أعجمي في القرآن الكريم، بناء على أن إثبات وجود اللفظ الأعجمي فيه يخالف النصوص القرآنية. وإذا وجدنا ما يشبه اللفظ الأعجمي فله مجالات كثيرة لتأويله، ومنها اعتباره من باب توافق اللغات، أو نقول: إن اللفظ المشابه للأعجمي أصله عربي تسرب إلى اللغات الأخرى وقد نسيه العرب.

٥- أوصي بالمزيد من البحث في التعريب؛ لأنه من الضمانات المطلوبة لبقاء اللغة العربية ماثلة في كل مناحي الحياة.

٦- أوصي باعتبار ورود أي لفظ في القرآن الكريم كافيا للحكم على عربيته دون النظر إلى العلامات أو القواعد التي وضعت للحكم على عربية الألفاظ. لأن النص القرآني أولى من أي اعتبار آخر.

المصادر

١. أثر الدلالة النحوية واللغوية– د.عبدالقادر عبدالرحمن السعدي– ط١– دار عمار– ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

٢. اجتهادات لغوية– د.تمام حسان– عالم الكتب– القاهرة– ط١– ٢٠٠٧م

٣. أدب الكاتب– ابن قتيبة الدينوري، دار صادر– بيروت ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م

٤. الاشتقاق والتعريب – عبد القادر المغربي – القاهرة ١٩٤٧.

٥. الأصول– د.تمام حسان– عالم الكتب– القاهرة– ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م

٦. إعراب القرآن وبيانه–محيي الدين درويش– دار اليمامة – دمشق ط٤–١٤١٥ هـ

٧. البحث اللغوي عند العرب– أحمد مختار عمر– عالم الكتب– ط ٨– ٢٠٠٣

٨. البحر المحيط– أبو حيان الأندلسي– مكتبة ومطابع النصر– الرياض

٩. البرهان في علوم القرآن– الزركشي، ت٧٩٤هـ تحقيق: أبو الفضل إبراهيم– ط١٣٧٦ هـ –١٩٥٧م– دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي

١٠. التصور اللغوي عند الأصوليين– السيد أحمد عبدالغفار– ١٩٨١م

١١. التعريب بين التفكير والتعبير– د.كمال بشر– مؤتمر الدورة الستين– مجلة مجمع اللغة العربية –الجزء ٧٨– ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

١٢. التعريب في القديم والحديث – محمد حسن عبدالعزيز– دار الفكر– القاهرة .

١٣. التعريب في ضوء علم اللغة المعاصر– د.عبدالمنعم محمد الحسن الكاروري– ط١٩٨٦– دار جامعة الخرطوم

١٤. التعريب والتنمية اللغوية–ممدوح خسارة– ط١– ١٩٩٤– دمشق.

١٥. التعريب ونظرية التخطيط اللغوي- د.سعد بن هادي القحطاني- ط١- بيروت - ٢٠٠٢م.

١٦. التفسير الحديث-محمد عزت دروزة، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٣٨٣هـ

١٧. تفسير القرآن العظيم- أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي-ط - مكتبة التراث الإسلامي- حلب- ١٤٠٠هـ تحقيق: محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية، بيروت . الطبعة: الأولى- ١٤١٩ هـ

١٨. جواهر البلاغة - أحمد الهاشمي - ط١٢- ١٣٧٩هـ- ١٩٦٠م

١٩. جوزيف فندريس Joseph Vendryes -عبد الحميد الدواخلى- ت١٣٨٠هـ محمد القصاص- مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م

٢٠. الخصائص- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ت٣٩٢هـ الهيئة المصرية العامة للكتاب- ط ٤.

٢١. دار الكتب العلمية - شرح المفصل الزمخشري- ط١- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م

٢٢. دراسات في أصول اللغات العربية - أبو مجاهد عبد العزيز القارئ المدني-الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ط٦- العدد الثالث - رجب ١٣٩٤هـ - فبراير ١٩٧٤م

٢٣. دراسات في تاريخ العرب القديم ،محمد بيومى مهران،دار المعرفة الجامعية، ط ٢.

٢٤. دراسات في فقه اللغة- د.صبحي الصالح - دار العلم للملايين- بيروت- ط١٢- ١٩٨٩

٢٥. دفاع عن كتاب الله تعالى- د.عبد العال سالم مكرم- الكلمات الأعجمية- مجلة الوعي الإسلامي- العدد ٨٢- شوال سنة ١٣٩١هـ

٢٦. دلالة تراكيب الجمل عند الأصوليين- د. موسى بن مصطفى العبيدان- الأوائل- دمشق- ط١- ٢٠٠٢م.

٢٧. الزينة في الألفاظ الإسلامية، أبو حاتم الرازي تحقيق: د.حسين الهمذاني- القاهرة- ١٩٥٧م.

٢٨. الصاحبي- أحمد بن فارس الرازي - بيضون- ط ١ ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٢٩. صفوة التفاسير- د.الصابوني-ط- العصرية- بيروت- ٢٠٠٨ م- ١٤٢٩هـ.

٣٠. العربية والبحث اللغوي المعاصر- د. رشيد عبدالرحمن العبيدي- المجمع العلمي العراقي- بغداد- ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣١. العرف والعادة في رأي الفقهاء- د. أحمد فهمي أبو سنة- ط ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

٣٢. علم اللغة الاجتماعي-هجسون- ط-٢-١٩٩٠م- عالم الكتب- القاهرة

٣٣. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي- د. محمود السعران - دار الفكر العربي- ط٢ - القاهرة ١٩٩٧م.

٣٤. عوامل التطور اللغوي- د.أحمد حماد عبدالرحمن - دار الأندلس- بيروت- ط١- ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

٣٥. عولمة اللغة والتاريخ وفق المنظور القرآني- المهندس علاء الدين المدرس- عالم الكتب الحديث - أربد الأردن ط١ - ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

٣٦. فصول في فقه العربية- د. رمضان عبدالتواب- الخانجي- القاهرة ط٣- ١٤٠٨ هـ١٩٨٧م

٣٧. فقه اللغة- د.حاتم صالح الضامن، جامعة بغداد- دار الحكمة للطباعة والنشر- ط١٤١١هـ ١٩٩٠م

٣٨. فقه اللغة وسر العربية -الثعالبي- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- إحياء التراث العربي - ط ١- ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

٣٩. قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث- د.مازن الوعر- دمشق- ط١- ١٩٨٨م

٤٠. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم - محمد بن علي الفاروقي الحنفي التهانوي ت بعد ١١٥٨هـ- **تقديم**: د.رفيق العجم **تحقيق**: د.علي دحروج- مكتبة لبنان - بيروت -ط١ - ١٩٩٦م.

٤١. الكوكب الدري فيما يتخرج على الأصول النحوية من الفروع الفقهية- عبدالرحيم الأسنوي- تحقيق: د. محمد حسن عواد- دار عمار- عمان - الأردن- ط١- ١٤٠٥

٤٢. اللسانيات الاجتماعية عند العرب- د.هادي نهر- ط١-دار الأمل- أربد- الأردن- ١٩٩٨م

٤٣. اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام- د.أحمد حسين شرف الدين، القاهرة ١٩٧٥، جويدي: المختصر في لغة حمير ١٩٣٤.

٤٤. اللغة العربية معناها ومبناها - د. تمام حسان -عالم الكتب-ط٥ .

٤٥. اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة - د.كارم السيد غنيم - مجلة عالم الفكر- عدد يناير مارس ١٩٨٩م

٤٦. اللغة -فندريس- القاهرة - ١٩٥٠م.

٤٧. اللغة والتعريب - فائز الصائغ - دار مجلة الثقافة - دمشق- ١٩٩٢م.

٤٨. اللغة والتفسير والتواصل- د.مصطفى ناصف- عالم المعرفة- الكويت- ١٩٩٥م

٤٩. اللغة والمجتمع– د. محمود السعران– بنغازي – ١٩٥٨ م.

٥٠. اللغة والمجتمع- د.علي عبدالواحد وافي - مصر- ١٩٧١م.

٥١. اللهجات العربية الغربية القديمة–رابين، جامعة اكسفورد ترجمة: عبدالرحمن أيوب . جامعة الكويت . ط١٩٨٦ م.

٥٢. اللهجات العربية في القراءات القرآنية–عبده الراجحي– دار المسيرة- عمان– ط١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

٥٣. المباحث اللغوية وأثرها في أصول الفقه - أ. نشأت علي محمود- عبدالرحمن جامعة الموصل- ط١- ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.

٥٤. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي- د. رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط ٣- ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٥٥. المزهر في علوم اللغة وأنواعها -عبد الرحمن جلال الدين السيوطي تحقيق: فؤاد علي منصور–دار الكتب العلمية– بيروت–ط١- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٥٦. معاني الأدوات والحروف–حسن بن الحسين البخاري- تحقيق- د.عبدالله السعدي- بغداد- ١٩٨٨م.

٥٧. المعرب في القرآن الكريم دراسة تأصيلية دلالية –محمد السيد علي بلاسي- ط١- ٢٠٠١ جمعية الدعوة الإسلامية العالمية- ليبيا- بنغازي.

٥٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - د.جواد علي –دار الساقي–ط٤- ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٥٩. منتدى اللغة العربية وعلومها رابط الموقع:

http://www.ahlalhdeeth.com

٦٠. المنخول من تعليقات الأصول– الغزالي، ط٢– تحقيق: د. محمد حسن هيتو، دمشق– دار الفكر– ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م .
٦١. نظرية النحو القرآني– د.أحمد مكي الأنصاري– ط١ ١١٤٠٥هـ– دار القبلة– القاهرة.
٦٢. الوسيط في تاريخ النحو العربي–د.عبد الكريم محمد الأسعد– دار الشواف– الرياض– ط١ ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.